



كليوباترا

ملكة القلوب

الحب .. ذلك الإحساس الغامض الذى نشعر به ، ولا نعرف وصفه ، هل الحب يصنع المعجزات ؟ هل يدفع بشعوب وملوك وجيوش إلى حروب لا حاجة لها إلا إرضاء المحبوب ، سنعرف الإجابة من خلال قصة خالدة تناقلتها الأجيال عبر القرون وأصبحت تدرس فى المدارس والجامعات ، بل إن الكاتب العالمى شكسبير أخذ من هذه القصة مادة لكتابة قصته الشهيرة "أنطونيو وكليوباترا " .

ليس فى العالم من لا يعرف " كليوباترا " تلك الملكة المصرية التى استطاعت بجمالها وذكائها أسر ملوك وعظماء وإخضاعهم لها وتنفيذهم لما تتمنى ، بل والخوض فى معارك حربية غيرت تاريخ العالم من أجلها .

لم تكن كليوباترا امرأة شريرة أو خبيثة كما ظن بعض المؤرخين وإنما كانت أكثر النساء ذكاء ووطنية ، وربما كانت أعظم ملكة عاشت على وجه الأرض !

تنتمى كليوباترا للأسرة ٣٢ وهى أسرة البطالمة ، فهى ابنة بطليموس أوليت ، واجهت كليوباترا صعوبات شديدة لم تستطع مواجهتها بمفردها ، فقد تآمر عليها أخوها وهربت خارج البلاد ، تبحث ، وتفكر كيف ترجع إلى مصر وتكون هى ملكة مصر !

إن الدفاع عن مصر وتخليصها من الوحش الرومانى الذى كان يستحوذ على معظم بلاد العالم فى ذلك الوقت أمر عسير ، وصعب على فتاة فى السابعة عشرة من عمرها بالإضافة إلى تآمر أخيها والمعارضة الشديدة التى تواجهها فى بلادها.

فكرت ولم تجد إلا مقابلة يوليوس قيصر القائد الرومانى العظيم ، الذى حقق انتصارات جعلت منه بطلاً عظيماً ، ويعتبر يوليوس قيصر من أشجع الساسة فى التاريخ ، ومن أكثرهم موهبة. رفض يوليوس قيصر مقابلة كليوباترا عدة مرات ، لأنه كان يرى أن وقته أثمن من أن يضيعه مع هذه الفتاة المصرية الصغيرة .

وجدت " كليوباترا " طريقة لمقابلة " يوليوس قيصر " ، فجاءت برجال حملوها ملفوفة فى سجادة وطلبوا مقابلة " يوليوس قيصر " لإهدائه هذه السجادة الشرقية وعندما دخلوا إلى القاعة التى يجلس فيها " يوليوس قيصر " خرجت كليوباترا من السجادة لتبهر القائد العظيم الذى لم ير - على حد قوله - أرجح منها عقلاً ولا أقوى فطنة ، وجد أن هذه الفتاة الصغيرة مبهرة وساحرة إلى حد كبير ، سرقت كليوباترا قلب بطل روما العظيم !

بدأ يوليوس قيصر بمساندة " كليوباترا " وقرر أن يعيد لها عرش مصر ، ثار أهالى الإسكندرية على " يوليوس قيصر " واستعادوا الجيش الذى كانوا أرسلوه إلى " بيلوز " لمحاربة " كليوباترا " . فلما رأى " يوليوس قيصر "

ذلك أمر بإحراق الأسطول المصرى ، وامتد الحريق إلى أرصفة المدينة ،
والتهم جزءاً منها، كما التهم دار الكتب المشهورة ، وكانت تحتوى على
آلاف الكتب ، وكان هذا سنة ٤٨ ق.م ، عاصر المصريون " يوليوس قيصر
" فى مدينة الإسكندرية " عاصمة مصر فى ذلك الوقت " ، والتحم الجيشان
فى موقعه غرق فيها بطليموس الرابع عشر " شقيق كليوباترا " وانتصر "
يوليوس قيصر " ودخل مصر ، وأعلن اعتلاء كليوباترا عرش مصر ،
وزوجها " بطليموس الخامس عشر " " البالغ من العمر ١٠ سنوات "
لتفادى نزاعات أخرى على عرش مصر.

وهكذا أصبح " قيصر " وجنوده وسيلة " كليوباترا " لتحقيق ما فقدته ،
واعتلت " كليوباترا " العرش ، تساندها روما بدلاً من مناهضتها ، فقيصر
لم يأخذ من خير وثروة مصر لفائدة شعب روما ، أو حتى أنصاره
السياسيين، ولكنه زج بنفسه وبجيشه فى حرب لا حاجة به إليها ، ولكن
كيف يتردد وفى ذلك مرضاة لحبيبته الفاتنة " كليوباترا " .

استقرت " كليوباترا " تحكم مصر تحت حماية روما و " يوليوس
قيصر " ، ولكن فى يوم ١٥ مارس ٤٤ ق.م قتل " يوليوس قيصر " على يد
" بروتوس " وأعوانه بعد أن استبد بالسلطة فى روما وفى الإمبراطورية
الرومانية بأسرها فانتهزوا فرصة دخوله مجلس الشيوخ فى روما وطعنوه
طعنات أودت بحياته .

كان على كليوباترا أن تعيد الكرة للحفاظ على عرشها ، فكانت بداية
قصة الحب الخالدة " أنطونيو وكليوباترا " .

عندما تولى " أنطونيو " حكم روما طلب مقابلة " كليوباترا " فذهبت
لمقابلته فى موكب مبهر ، وما إن رآها حتى وقع فى حبها ، بادلتها هى

نفس الشعور، أحبته كثيراً ولم يبخل هو عليها بأى شيء ، وأكملت " كليوباترا " مع " أنطونيو " مشوارها السياسى والعاطفى معاً .

ولكن أنطونيو قرر الزواج من فتاة فى روما ، بالرغم من حبه "لكليوباترا"، وعندما علمت " كليوباترا " غضبت غضباً شديداً ، لأنها كانت تسعى للزواج منه ، إلا أن الحب كان قد تملك قلب " أنطونيو " فترك بلده وزوجته وأهلها وسافر إلى الشرق وسحر " كليوباترا " .

فى ذلك الوقت كانت الإمبراطورية الرومانية تتوسع بصورة مذهلة وشملت معظم أقطار العالم ، فأهدى " أنطونيو " لحبيبته جبال لبنان ، وجزيرة قبرص، وشاطى فينيقيا وبلاد فلسطين .

فى سنة ٣٤ ق. م قام " أنطونيو " بغزو بلاد الأرمن ، وأقام مهرجاناً كبيراً احتفالاً بانتصاراته ، وعقب الحفلة أهدى " كليوباترا " لقب " ملكة الملوك " .

ضحى " أنطونيو " بأهله ومصالح بلده من أجل حبيبته ، فأصبح له أعداء فى روما ، وعلى رأسهم " أوكتافيوس " شقيق زوجته الرومانية. أثار "أوكتافيوس" روما بأسرها ضد " أنطونيو " واتهمه بأنه يتعمد نقل الإمبراطورية الرومانية من روما إلى الإسكندرية ، كما اتهمه أيضاً بنقل آلاف الكتب من روما إلى الإسكندرية تعويضاً عن الكتب التى احترقت أثناء الثورة ضد " يوليوس قيصر " .

ومما زاد سخط أهل روما خبر تطليق زوجته " أوكتافى " ، وعند ذلك أعلن "أوكتافيوس" الحرب على ملكة مصر ، فاستعد " أنطونيو " للدفاع عن مصر ، وملكة مصر حبيبته كليوباترا ، فكانت موقعة " أكتيوم "

البحرية وشهدت "كليوباترا" هذه الموقعة الهائلة وهى على ظهر سفينتها (L'Antoniade) وانتهت هذه الموقعة بهزيمة " أنطونيو " .

ولولا مجازفة " كليوباترا " بأسطولها ، وإصرارها على محاربة الرومان فى البحر والبر معاً ، ولولا أن " أنطونيو " كان عاشقاً أكثر منه جندياً كانت "كليوباترا" وهى سيدة العالم أجمع !

وبعد موت " أنطونيو " شعرت " كليوباترا " بالضياع واليأس ، فارتدت أعز أثوابها ، وتزينت بأثمن حليها ، ووضعت على صدرها الحية المشهورة وبذلك انتقلت الملكة العظيمة فى سن الـ ٣٩ من عالم الكفاح والطموح فى الدنيا إلى عالم التاريخ ، وبموتها وقعت مصر فى قبضة الرومانيين .

حاول المرحوم " أحمد شوقى " أمير الشعراء أن ينقذ كليوباترا من الاتهامات التى دارت حول " كليوباترا " على السنة المؤرخين ، فوضع روايته الشهيرة "مصرع كليوباترا" وفيها يجرى هذه الأبيات على لسان الكاهن الأكبر فى تمجيد " كليوباترا " بعد موتها :

بنتى رجوتك للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجى
إن تصبحتى جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناج
سيقول بعد كل جيل منصف نهبته ، ولكن فى سبيل التاج

وهناك أيضاً العالم والمؤرخ الكبير " جيمس كيمبل " الذى يدافع عن كليوباترا ويقول :

" لم تكن كليوباترا امرأة شريرة وإنما كانت من أكثر النساء نكاء ووطنية ، وربما كانت أعظم ملكة عاشت على وجه الأرض ، ولاشك فى أنه لم تلحق قط إساءة بملكة بقدر ما أسىء إليها ونيل منها ! " .